**تهويد الأقصى والهيكل المزعوم**

**The Judaization of Al-Aqsa and the Alleged Temple**

**أ.د. إحسان الديك**

**Prof. Ihsan Al-Deek**

**جامعة النجاح الوطنية – فلسطين**

**An-Najah National University, Palestine**

**تأسيس:**

تعتبر فلسطين من أكثر بقاع الأرض حظوة بالتنقيب واهتمام الآثاريين والمؤرخين العالميين من منتصف القرن التاسع عشر وإلى أيامنا هذه، حين تأسس صندوق التنقيب في فلسطين "Palestine Exploration Fund" سنة 1865 في بريطانيا باعتباره أول هيئة من نوعها في أوروبا، وكان الهدف من إنشائه "التحري الدقيق والمنهجي لآثار وطبوغرافية وجيولوجية وعادات وتقاليد الأرض المقدسة، لتوضيح مسائل الكتاب المقدس"([[1]](#footnote-1)).

لذا، تم نبش معظم التلال والخِرَب والمواقع الأثرية القديمة في شتى أنحاء فلسطين بحثاً عن أصول إسرائيل في الأرض المقدسة، وإثباتاً للمرويات التورائية الأسطورية، ولهذا يمكن القول إن علم الآثار الذي نشأ في فلسطين هو علم آثار تورائي، قاده منقبون يحملون التوراة بيد، ومعول التنقيب باليد الأخرى، وظل هذا العلم أسير مصادر تمويله التي تسعى لتكريس "أسطورة أرض الميعاد، وإسكات التاريخ الفلسطيني"([[2]](#footnote-2)) وظل هذا العلم أسير التوجه اللاهوتي، وحرص على إرضاء مصادر تمويله، ولم يستطع الفكاك عن رغباتها.

وبالرغم من نشاط أصحاب الدراسات التورائية المحموم، إلا أن علم الآثار لم يحقق أهدافهم، ولم يوصلهم إلى الغايات الدينية والسياسية التي يريدونها، بل على العكس من ذلك، فإن تراكم المعلومات الأركيولوجية أبعدهم كثيراً عن رواية التوراة حول أصول إسرائيل القديمة، ونشوء المملكة الموحدة، ومملكتي يهودا والسامرة.

لقد خيَّبّ المسح الآثاري الشامل الذي أجراه علماء آثار إسرائيليون منصفون في سبعينات وثمانينات القرن العشرين آمال أصحاب الدراسات التورائية، فدعا إسرائيل فنكلشتاين إلى تحرير علم الآثار من سطوة النص التورائي الذي تحكم بماضي البحث في أصول إسرائيل لأنه يحمل طابعاً لاهوتياً منحازاً([[3]](#footnote-3)).

وانتهى المسح الشامل الذي أجراه آفي أُوفير إلى أن الاستيطان البشري قد توقف في المناطق المحيطة بأورشليم منذ مطلع عصر البرونز الأخير، ولم يعد إليها إلا في الفترة الانتقالية بين القرن العاشر والقرن التاسع قبل الميلاد([[4]](#footnote-4)).

ولم تعثر بعثة التنقيبات الإسرائيلية برئاسة ايجال شيلوه على شواهد تدلل على عودة الحياة إلى أورشليم زمن داود وسليمان، بل إن الآثاري دافيد أوسيشكن من جامعة تل أبيب، يرى أن أورشليم لم تكن في القرن العاشر ق.م أكثر من قرية صغيرة عادية من قرى المناطق الهضبية المختلفة([[5]](#footnote-5)).

غير أن المكتشفات الآثارية الجديدة، فاجأت أنصار علم الآثار التورائي، ودلت على عمق الأزمة التي يعيشونها، وقد عبر عنها بمرارة عالم الآثار الإسرائيلي زائيف هيرتزوغ الأستاذ بجامعة تل أبيب في مقالة نشرتها صحيفة هآرتس بتاريخ 28/11/1999، بقوله:

"إن الحفريات المكثفة في أرض إسرائيل خلال القرن العشرين قد أوصلتنا إلى نتائج محبطة كل شيء مختلق، ونحن لم نعثر على شيء يتفق والرواية التورائية، إن قصص الآباء في سفر التكوين هي مجرد أساطير، ونحن لم نهبط إلى مصر، ولم نخرج منها، لم نَتُهْ في صحراء سيناء، ولم ندخل إلى فلسطين بحملة عسكرية صاعقة احتلت الأرض ووزعتها على الأسباط. وأصعب هذه الأمور أن المملكة الوحدة لداود وسليمان التي توصف في التوراة بأنها دولة عظيمة كانت في أفضل الأحوال مملكة قبليّة صغيرة، وعلاوة على ذلك فإن القلق سينتاب كل من سيضطر إلى التعايش مع فكرة أن يهوه اله إسرائيل كان لديه زوجة (هي الإلهة الكنعانية الكبرى عشيرة) وأن إسرائيل لم تتبنَّ عقيدة التوحيد على جبل سيناء، وإنما في أواخر عهد ملوك يهوذا، إنني أدرك باعتباري واحداً من أبناء الشعب اليهودي وتلميذاً للمدرسة التورائية، مدى الإحباط الناجم عن الهوة بين آمالنا في إثبات تاريخية التوراة، وبين الحقائق التي تنكشف على أرض الواقع"([[6]](#footnote-6)).

وحتى هيكل سليمان المزعوم، المدعو بالهيكل الأول، فإن ما تم اكتشافه في أورشليم نفسها خلال حملة تنقيبات كاثلين كينيون هو معبد كنعاني يعود إلى أواخر القرن الثامن قبل الميلاد، يبعد عن الجدار المفترض لهيكل سليمان 300 متراً، ويلاصق السور الشرقي اليبوسي من الخارج، وكان مكرساً لعبادة الإله الفلسطيني يهوه وزوجته عشيرة، وهو ينتمي إلى النمط المعماري لمعابد الخصب السورية، وهناك إشارات قوية في سفر حزقيال تعطينا صورة عن طقوس الخصب التي كانت تقام فيه في أواخر عصر المملكة، فهناك تمثال ضخم منصوب عند الجهة الشمالية من باب المذبح (حزقيال 5:8)، وعلى جدران قدس الأقداس من الداخل صور وتماثيل وشيوخ بني إسرائيل يقدمون بخورهم أمامها (حزقيال 8 : 9-11)، وعند باب الهيكل الشمالي هناك نسوة جالسات يبكين على موت إله الخصب (حزقيال 8 : 14-15) وبين الرواق الداخلي والمذبح هناك خمسة وعشرون كاهنا يسجدون لشروق الشمس (حزقيال 16:8) ([[7]](#footnote-7)).

لقد وظفت الحركة الصهيونية البحث التورائي الغربي لغاياتها الخاصة، وأفادت من الذاكرة الجمعية الغربية التي تقوم على الحق الحصري لليهود في أورشليم، وأن دواد أعاد تأسيسها عاصمة له، متناسية تاريخ المدينة قبل داود، والاكتشافات الأركيولوجية والصورة التي رسمها الأكاديميون لهذه المدينة، إمعاناً في تهويدها، وجعلها عاصمة موحدة تحت السلطة الإسرائيلية باعتبارها واقعاً تاريخياً لا يحتاج إلى برهان، وحقيقة لا يمكن الشك فيها.

**الهيكل المزعوم:**

تحتل القدس في الفكر اليهودي قلب أسطورة أرض الميعاد، وقد مثّلت على الدوام الأرض الموعودة بكاملها، لأنها تقع في مركز أرض إسرائيل التي هي سرة الدنيا ومركز الكون، ويقع الهيكل في اعتقادهم في مركز القدس، وفي وسطه قدس الأقداس، الذي في وسطه تابوت العهد وأمامه حجر الاساس (الشرب) الذي خلق منه العالم.

ويعتقد اليهود أن دورة جديدة من التاريخ اليهودي على وشك البدء، إنها دورة "ملك السلام" أو "الماشياخ" مسيح اليهود، الذي سيتخلص من كل أعداء إسرائيل، وهذا المنتظر من عالم الغيب يستلزم قدومه تهيئة عالم الشهادة مثل إقامة الدولة، وقد تم لهم ذلك، وتوحيد العاصمة، وقد حصل لهم، وتجهيز منبر الدعوة وموضع القبلة (الهيكل) وهو ما يجهدون أنفسهم في سبيل تحقيقه باعتباره ضرورة العصر([[8]](#footnote-8)).

ظل الهيكل المزعوم ديدن اليهود، وسبيلهم للعودة إلى أرض الميعاد على مر العصور، وجعلوه محور ادعاءاتهم لبناء دولتهم الحديثة، ظهر ذلك في أواخر القرن السادس الميلادي حينما زار اليهودي اسحق لوريا القدس قادماً من القسطنطينية مقر مجمع السنهدريين أعلى سلطة دينية لليهود في العالم، وادعى أن حائط البراق جزء من حائط الهيكل، ليكون([[9]](#footnote-9)) لهم موطأ قدم فلسطينية، ويكون بداية التنفيذ العملي لإقامة دولتهم التي تحققت فيما بعد.

والصهيونية على الرغم من أنها مذهب سياسي "تتخذ من الهيكل والأرض المقدسة اسما لها، وشعاراً مقدساً تكافح من أجله، وتعتبر نفسها الحركة التي تستهدف إعادة مجد إسرائيل، وبناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الاقصى، ومن ثم السيطرة على العالم وحكمه من القدس على يد ملك اليهود الذي هو مسيحهم المنتظر"([[10]](#footnote-10)).

فالهيكل أهم الرموز الأساسية للشعب اليهودي، وهو جزء مهم من صلب عقيدتهم الدينية، وهم جميعاً متدينين، وعلمانيين، ساسة ورجال أحزاب، يتنافسون في الدعوة لبناء الهيكل باعتباره رمزاً دينياً ووطنياً، "فلا قيمة لإسرائيل دون القدس، ولا قيمة للقدس دون الهيكل" هذه العبارة التي قالها بن غوريون، وأعاد قولها "مناحيم بيجن" ويرددها ساسة إسرائيل دائماً.

يخطئ من يظن أن الرغبة في بناء الهيكل في الحرم القدسي الشريف وليدة أيامنا هذه، وأنها خاصة باليهود وحدهم، وإنما هي قديمة جديدة متكررة، هي أمل اليهود في كل مكان، وهي هدف المسيحية البروستانتية في أمريكيا وبريطانيا واستراليا وغيرها من البلدان، تدعمها عقيدة صهيونية راسخة وتساندها أطماع سياسية واقتصادية لا حدود لها. عبّر عنها الكثيرون، فقال ألفريد موند أحد الزعماء اليهود في كتابه "الجار" الذي ألفه سنة 1918 "إن اليوم الذي سيعاد فيه بناء الهيكل أضحى قريباً، وإني سأكرّس بقية حياتي لبناء هيكل عظيم مكان المسجد الأقصى"([[11]](#footnote-11)).

وفي عام 1929، صرّح أحد زعماء الصهيونية واسمه "جلوزنر" فقال: "إن المسجد الأقصى القائم على قدس الأقداس إنما هو ملك لنا"([[12]](#footnote-12)).

وفي السابع والعشرين من شهر يونيو عام 1967، وفي أثناء اجتماع لحاخامات يهود طالبوا بالإسراع في بناء الهيكل قال (زبرخ فارمافتد) وزير الأديان الإسرائيلي آنذاك "أنا لا أناقش أحداً في أن الهدف النهائي لنا هو إقامة الهيكل، ولكن لم يحن بعد، وعندما يحين الموعد، لابدّ من حدوث زلزال يهدم الأقصى ويبني الهيكل على أنقاضه"([[13]](#footnote-13)).

وحينما احتلت إسرائيل الشطر الشرقي من المدينة المقدسة سنة 1967، أبلغ موشيه دايان وزير الحرب الإسرائيلي آنذاك حاخام جيشه شلومو جورين ببقاء إدارة شؤون الحرم القدسي الشريف للأوقاف الإسلامية، رد عليه الأخير بقوله: "إن هذا العمل يمكن أن يجرّ دماراً ثالثاً، لأن مفتاح سيادتنا على يهودا والسامرة "الضفة الغربية وقطاع غزة، هو جبل الهيكل"([[14]](#footnote-14)).

تهويد الحرم القدسي الشريف، وهدم المسجد الأقصى المبارك ومن ثم بناء الهيكل المزعوم على أنقاضه، هو الهدف الأسمى لكل الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، والمؤسسات التابعة لها، مثل سلطة الآثار ووزارة الأديان، والسياحة، وهو هدف الجمعيات والمنظمات والأحزاب الدينية المتطرفة التي أنشئت لهذا الغرض، وتسمَّت باسم الهيكل، وتلبَّست بالدين، ومنها: مؤسسة أبناء الهيكل، ومؤسسة الهيكل المقدس، وجماعة أمناء الهيكل، وحركة الاستيلاء على الأقصى، ومنظمة عطيرت كوهنيم أي التاج الكهنوتي، وجماعة جوش ايمونيم، ومنظمة سيودس شيسون، ومجموعة آل هار هاشم أي إلى جبل الله، وحزب هتحيا، وحركة كاخ، وجمعية صندوق جبل الهيكل، وحركة الموالون لساحة العبد، وغيرها.

غدا بناء الهيكل عند الصهاينة حاجة نفسية لتحقيق أهداف سياسية، فضلاً عن كونه ضرورة دينية، فهم بحاجة إلى هوية معمارية تدعم كيانهم السياسي المصطنع، وتضفي عليه أبعاداً دينية وتاريخية تصل حاضرهم بماضيهم، لصناعة قدسهم اليهودية ومملكتهم التورائية.

**مظاهر التهويد:**

لا غرابة أن يشعر اليهود بعد سقوط بقية القدس في أيديهم عام 1967، بصدق نبوءتهم، وصحة أسطورتهم، ووفاء الرب لهم، حيث أقيمت دولتهم، وتوحدت القدس تحت سيطرتهم، ولم يبق أمامهم غير إعادة بناء هيكلهم، فعملوا بأسلوب ممنهج، وتخطيط مبرمج على تحويل البلدة القديمة من القدس إلى مركز ديني للشعب اليهودي، ووضعوا نصب أعينهم الوصول إلى الحرم القدسي الشريف لبناء الهيكل المزعوم.

ولقد عملت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة على تنفيذ مخططاتها لصناعة قدس يهودية ومملكة تورائية بفرض سياسة الأمر الواقع، فأحاطت القدس الشرقية بحزام من المستوطنات لعزلها عن محيطها الفلسطيني، وقدمت التسهيلات المالية واللوجستية للمستوطنين لتشجيعهم على السكن فيها، وعمدت إلى خلق إجراءات تعسفية حرمت كثيراً من المقدسيين من العودة إلى مدينتهم والعيش فيها، لتغيير الطبيعة الديموغرافية والحد من النمو السكاني الفلسطيني، وبنت جدار الفصل العنصري لمنع المواطنين الفلسطينيين من الوصول إلى المدينة والصلاة في الحرم القدسي الشريف، ونفذت إلى قلب المدينة القديمة وخلقت بؤراً استيطانية فيها، فاستولت على أملاك المواطنين المقدسيين الغائبين الذين حرمتهم من العودة إليها، وطردت الكثير من منازلهم، وهودت الأحياء والشوارع، وأطلقت عليها أسماء عبرية، وغيرت المعالم الإسلامية والمسيحية وطمست الآثار الإسلامية، وأضفت عليها الرموز التورائية للتأكيد على عاصمتهم الموحدة ومدينة الآباء والأجداد.

إن عمليات تهويد القدس وأسرلتها أرضاً وتاريخاً وحضارة، هي استراتيجية صهيونية تنفذ بخطى حثيثة للسيطرة على الحرم القدسي، وهدم المسجد الأقصى ومن ثم المباشرة في بناء الهيكل، وقد عمدت السلطات الإسرائيلية إلى سلسلة من الإجراءات لتحقيق ذلك، منها:

**1. تهويد محيط الحرم:**

وقد بدأ هذا التهويد بعد احتلال القدس الشرقية مباشرة، حين اغتصبوا حائط البراق، وهدموا حي المغاربة، فدمروا 138 مبنى، منها جامع البراق، ومسجد المغاربة، والمدرسة الأفضلية، وأغلقوا باب هذا الحي المؤدي إلى الحرم القدسي والمسمى بباب المغاربة.

واستولوا على المدرسة التنكزية، وجعلوها معسكراً لجيشهم، وهم بصدد تحويل رباط الكرد إلى مبكى صغير لربطه بحائط البراق وإغلاق باب الحديد المؤدي إلى باحة الحرم الشريف، وبذلك يتم الاستيلاء على الحائط الغربي للحرم، ويتم القضاء على الحي الإسلامي الذي يقع في باب السلسلة فالقطانين فالمطهرة وينطلقون للوصول إلى فك الكماشة الثاني الذي ينتهي باب الغوانمة([[15]](#footnote-15)).

وباستيلائهم على الحائط الغربي يحكمون السيطرة على الحرم القدسي الشريف، ففي الجهة الشرقية استولوا على مقبرة الرحمة، ومنعوا الدفن فيها وطمسوها بالتراب، واستولوا على الجهة الجنوبية بكاملها، وقد أحاطوا الحرم، وخنقوه بالمباني العالية التي يطلقون عليها مرافق الهيكل المزعوم، فأقاموا أكثر من مائة كنيس ومدرسة دينية، تركز معظمها في الحائط الغربي من الحرم القدسي، وكشفت مؤسسة الأقصى للوقف والتراث بتاريخ 11/2/2013 مخططات لبناء ما يسمى "بيت شطراوس" في الجهة الشمالية من ساحة البراق (المبكى) على بعد خمسين متراً من الحائط الغربي ويرتبط بشبكة الأنفاق والمدينة السفلية، بتكلفة عشرين مليون دولار، يشرف عليه "صندوق إرث الهيكل" الذي يتبع رئاسة مجلس الوزراء الإسرائيلي مباشرة، وسيضمُّ هذا المبنى كنيساً يهودياً ومدرسة دينية وغرف عمليات ومراقبة، ومركزاً للشرطة، وسيكون بلا شك بمثابة مشروع تعبوي لكل الاعتداءات على الأقصى الشريف([[16]](#footnote-16)).

**2. الحفريات والأنفاق أسفل الحرم:**

وعلى الرغم من مخالفة إسرائيل قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة واتفاقية جنيف سنة 1949 واتفاقية لاهاي الرابعة لسنة 1907، والمؤتمر الدولي الذي انعقد في هانج سنة 1954 بعدم امتناعها عن القيام بأعمال حفر أو تنقيب في المناطق التي تحتلها، وعلى الرغم من النتائج العلمية الأركيولوجية التي تدحض الروايات التورائية والأحلام الصهيونية، إلا أن الحفريات الإسرائيلية في القدس لم تتوقف منذ عام 1967، وإنما تسير بخطوات متسارعة، وتتجاوز حدود البحث والتنقيب عن الهيكل المزعوم إلى إقامة مدينة دينية سياحية أسفل المدينة القديمة، من خلال شبكة الأنفاق التي يصل طولها إلى مئات بل آلاف الأمتار، مخترقة حوائط الحرم القدسي مجتمعه أسفله، ومتجاوزة حدود السور لتصل إلى حي سلوان، ومن خلال إقامة كنيس يهودي أسفل المدرسة التنكزية مكون من طبقتين يقيمون فيه صلواتهم وطقوسهم الدينية.

ولقد استطاع الشيخ رائد صلاح الوصول إلى هذه الأنفاق، ووصفها بقوله: "إن ما يجري الآن تحت المسجد الأقصى أمر مرعب بكل معنى الكلمة، حفريات تحت الحفريات بأعماق مرعبة وباتجاهات مختلفة، كل ذلك يؤكد أنهم يحاولون تقسيم المسجد الأقصى بين المسلمين واليهود"([[17]](#footnote-17)) وقد بلغ عدد هذه الحفريات 47 حفرية خمس وعشرون منها في الغرب، وسبع عشرة في الجنوب وخمس في الشمال، ويلاحظ أن معظمها في الغرب حيث تركّز على أبواب الحرم القدسي إذ مرت أسفل خمسة أبواب هي: السلسلة والمطهرة والقطانين والحديد وعلاء الدين البصيري.

باتت هذه الحفريات تهدد أساسات المسجد الأقصى كلها بالانهيار، وأن أي هزة أرضية تنشأ في مدينة القدس يمكن أن تهدم الحرم القدسي وما عليه كله، وعلى الرغم من كثيرة الاحتجاجات التي تقدمها إدارة الحرم للسلطات الإسرائيلية عن تشققات الأبنية والانهدامات، والآثار السلبية الناتجة عن هذه الحفريات، إلا أن الصهاينة لم يذعنوا لذلك، وتركوا هذه الأماكن للأقدار تعبث بها.

لقد بات واضحاً أن الهدف الحقيقي من وراء هذه الحفريات هو خلق مدينة يهودية الطابع والواقع لإقناع العالم بضرورة سيطرتهم على الحرم القدسي حتى وإن تعارض ذلك مع حلول التسوية.

**3. الاعتداءات على الأقصى:**

حين احتل الصهاينة الحرم القدسي في ثالث أيام حرب حزيران سنة 1967، تجسدت أطماعهم في هدمه عملاً وفعلاً، وترجموا قول رئيس حزب كاخ، الحاخام مائير كهانا عضو الكنيست الأسبق: "إن إزالة الأقصى وقبة الصخرة، واجب يقتضيه الدين اليهودي، وأن المعركة دينية ولكل شعب إله يحميه، وإذا استطاع الله أن يحمي مساجده فليفعل في مواجهة التصميم اليهودي على إعادة بناء الهيكل محل المساجد الإسلامية"([[18]](#footnote-18)).

ففي 21 آب من عام 1969، أقدم الشاب اليهودي الأسترالي الأصل (مايكل دينيس روهان) على حرق المسجد الأقصى، وفي عام 1980، جرت محاولة لنسفه، حين اكتشفت كمية كبيرة من المتفجرات على أسطح المعابد القريبة منه، وفي عام 1982 اقتحمت مجموعة مكونة من مائة يهودي بزعامة مائير كهانا المسجد الأقصى حاملة يافطات تدعو لطرد الفلسطينيين وعليها صور الهيكل مكان قبة الصخرة المشرفة([[19]](#footnote-19)) وفي عام 1983 ألقى القبض على مجموعة من حركة كاخ اليمينية محملة بالمتفجرات تحاول اقتحامه([[20]](#footnote-20)). وفي عام 1984 اكتشف حراس الأقصى المسلمين، عدداً من اليهود في الساحات المحيطة بالمسجد وهم يعدون لنسفه، وحينها قال مفتي القدس الشيخ العلمي: "لولا عناية الله، لما بقي حجر على حجر من المبنى الشريف"([[21]](#footnote-21)).

وتتوالى محاولات الاعتداء على الأقصى، وتتخذ طرقاً ظاهرة للعيان بعد أن تطوّرت فكرة الوجود في الحرم القدسي وتحقيق هذا الوجود على أرض الواقع بكل السبل المتاحة، وبعد أن تبنت الكنيست الإسرائيلية والحكومات المتعاقبة آراء الجمعيات والأحزاب الدينية المتطرفة فصارت اقتحامات جيش الاحتلال شرطته ومستوطنيه عادة يومية وانتقل من مرحلة فرض الأمر الواقع إلى شرعنة أفعاله الاحتلالية الباطلة.

**4. فكرة الوجود اليهودي داخل الحرم:**

كان لقانون الكنيست الإسرائيلية بتاريخ 30/7/1980، باعتبار القدس بشطريها عاصمة موحدة للكيان الصهيوني أثره البالغ في دفع فكرة الوجود الصهيوني داخل الحرم، والتدخل المباشر في إدارته تمهيداً لتقسيمه ومن ثم تهويده على الصعد السياسية والدينية والقانونية، فعلى الصعيد السياسي صعّدت الحكومات الإسرائيلية من لهجتها تجاه هذا التواجد، فكانت زيارة أرئيل شارون إلى ساحة الحرم سنة 2000، وعمل نتنياهو ويعمل على تكليف وزرائه وقادة حزبه على السماح للمستوطنين بالتواجد في الحرم بحرية تامة، ولقد تنامى الدعم الحكومي لما يعرف بمؤسسات المعبد، ففي سنة 2011 أصدر مراقب عام الدولة (ميكا ليندنستراوس) تقريراً حول إمكانية فرض السيادة الإسرائيلية على المسجد الأقصى، وإخضاعه لقانون الآثار الإسرائيلي([[22]](#footnote-22)).

كما تنامت جماعات الضغط المنادية ببناء الهيكل بعد الانتخابات الإسرائيلية التي جرت في 22/1/2013، وصارت قوى دافعة ومؤثرة واحتلت مواقع قيادية في الحكومة والبرلمان فزاد الدعم الحكومي لمؤسسات بناء الهيكل([[23]](#footnote-23)).

على الصعيد الديني تغيّرت الفتاوى التقليدية اليهودية بعدم جواز دخول المسجد الأقصى عند كثر من الحاخامات البارزين فقد أصدر "شموئيل إلياهو" حاخام صفد وهو من كبار حاخامات السفارديم بوجوب تقديم قرابين الفصح في جبل الهيكل أمام قبة الصخرة([[24]](#footnote-24)).

وصارت الجمعيات الرئيسة المنادية ببناء الهيكل أكثر تنظيماً وفاعليته بعد أن توحدت وانضوت تحت ما يسمى "الائتلاف من أجل الهيكل" الذي أخذ يصدر الدعوات لاقتحام الحرم، ويضغط على الحكومات لبسط سيطرتها على المسجد الأقصى باعتباره جزءاً من القدس التي تقع تحت سيادتها([[25]](#footnote-25)).

وعلى الصعيد القانوني أصدرت محكمة الصلح الإسرائيلية حكماً في 4/10/2009 يفرض على الشرطة الإسرائيلية حماية المستوطنين الذين يقتحمون الحرم بعد أن كانت مهمتها حماية الحرم من هؤلاء المعتدين، وقد تُرجم ذلك ميدانياً في 9/8/2011 حينما حمت الشرطة الإسرائيلية – ولأول مرة منذ احتلال الحرم – خمسمائة متطرف يهودي دخلوا ساحة الحرم في ذكرى خراب الهيكل في شهر رمضان.

كما صدر قانون عن محكمة الاحتلال في 23/6/2013، اعتبر منع اليهود من الصلاة في الحرم، تقييداً لحرية العبادة التي كفلها إعلان الاستقلال وقوانين الكنيست الأساسية لهم([[26]](#footnote-26)).

وقبل انتهاء شهر رمضان المبارك، وقبيل عيد الفطر في هذا العام 2013، أطلت علينا الكنيست بجلسات نقاش حول السماح للمستوطنين بالدخول إلى باحات الحرم في كل الأوقات، ومن كل الأبواب، وشرعنة الاقتحامات بحجة الشعائر التلمودية([[27]](#footnote-27))، مما يجعل المسجد الأقصى أسيراً كما الحرم الإبراهيمي في الخليل.

**5. التواجد داخل الحرم والتدخل في إدارته:**

تتولى الجهات الرسمية اليهودية تنفيذ فكرة الوجود اليهودي في الحرم، وتحقيق هذه الاستراتيجية الصهيونية من خلال الاقتحامات المتكررة التي تشبه كرة الثلج، والتي تسعى إلى تغيير الواقع ونزع الحصرية الإسلامية عن الحرم.

فقد تصاعدت هذه الاقتحامات وتضاعفت في السنوات الأخيرة بشكل ملحوظ، وقتاً وكماً ونوعاً، فامتد معظمها إلى ساعات طوال، وأحياناً إلى اليوم بأكمله، وشهدت حضوراً دينياً كبيراً، بدت فيه الجماعات الدينية وكأنها تسعى لتكريس "جبل الهيكل" باعتباره أس الحياة الدينية اليهودية وأساسها، وشارك فيها شخصيات رسمية حكومية، ونواب في البرلمان، ومسؤولون كبار نادوا بتغيير الواقع القائم، مما أسهم في تعزيز التيار السياسي المنادي بالاستيلاء على الهيكل، وأظهر سياسة الدولة على وجهها الحقيقي.

كما شهدت السنوات الأخيرة تحولاً كبيراً في دور الأجهزة الأمنية الإسرائيلية فتبدّلت مهمتها وغدت تحمي المقتحمين، وتساندهم في تنفيذ الاعتداءات، وقمع المصلين الفلسطينيين فشكلت قوة خاصة للحرم سميت بـ "قوة جبل الهيكل"، وأخذت تسيطر على ساحات الحرم كلها، وتقتحم مقررات مؤسساته، متعمدة تدنيسه، إذ كشف حراسه عن آثار متكررة لتبدل جنود الاحتلال في أماكن متعددة منه([[28]](#footnote-28)).

وصار إغلاق بوابات الحرم القدسي التسع – التي لم تغلق في التاريخ الحديث – وقطع التيار الكهربائي لمنع أداء الآذن، سنة متبعة في أوقات كثيرة، وبخاصة في عيد البوريم (المساخر) حيث تفتح لهم بوابة باب المغاربة فيندفعون إلى باحات الحرم لآداء صلواتهم، ناهيك عن رفع العلم الإسرائيلي. واقتحام الجنود بلباسهم العسكري، وإدخال السياح الأجانب بلباس فاضح وممارسات تنتهك حرمة المسجد وقدسيته.

وسار تدخل الجهات الرسمية الإسرائيلية في إدارة الحرم في مسارات عدة منها: منع الفلسطينيين من ترميم مباني الحرم وصيانتها، والتدخل في عمل دائرة الأوقاف الإسلامية، وتقييد حركة موظفيها واعتقالهم، والتصدي لهم في أثناء قيامهم بأعمالهم.

**6. تقسيم الحرم القدسي:**

كل الإجراءات ومظاهر التهويد السابقة، تؤكد أن قرار تقسيم الحرم القدسي بين الفلسطينيين واليهود قرار متخذ مسبقاً، وأن كل ما تفعله سلطات الاحتلال هو تمهيد لإتمام الإجراءات الأمنية والإعلامية لتنفيذه، وأن تطبيق هذا القرار مرهون بتغيير الظروف، واقتناص الفرصة المواتية لذلك.

هدم المسجد الأقصى الآن ليس مطروحاً على الأجندة الصهيونية، وإن كان وما يزال وسيبقى أمينة لهم، وإنما المطروح هذه الأيام الطريقة التي اتبعوها في تهويد الحرم الإبراهيمي في الخليل، من خلال تقسيمه تقسيماً زمانياً، ولعل ما نراه من تخصيص الأوقات الصباحية لصلاة اليهود في باحاته بأعداد كبيرة، مقدمة لهذا التقسيم ومؤشر على قرب حدوثه، ثم يأتي بعد ذلك التقسيم المكاني، باقتطاع أجزاء منه لهم، ومن ثم تهويده كاملاً وجعله تراثاً يهودياً كما فعلوا بالحرم الإبراهيمي ومسجد بلال الذي أطلقوا عليه اسم قبة راحيل.

من أجل ذلك نرى قوات الاحتلال الصهيوني تمنع حراس الحرم الفلسطينيين من ممارسة صلاحياتهم في الساحات باعتبارها ساحات عامة تخضع لبلدية القدس.

لقد بات الحرم القدسي – أكثر من أي وقت مضى – مقسماً تقسيماً فعلياً بطريقة أو بأخرى، إذ أصبح مكاناً مفتوحاً للعبادة، يؤدي فيه المسلمون صلواتهم، ويمارس فيه اليهود طقوسهم، ويتدفق عليه معتنقوا الأديان الأخرى للسياحة، وفي ذلك تنفيذ للرؤية الأمريكية الحديثة التي تدعو لاعتبار القدس عاصمة مفتوحة لكل الديانات تحت إدارة أممية مشتركة.

**7. بناء كنيس في الحرم:**

لقد أنهى الصهاينة المرحلة الأولى من بناء الهيكل وهي احتلال الفضاء الخارجي وإحاطة الحرم القدسي بأكثر من مئة كنيس، وهم الآن ينفذون المرحلة الثانية من خلال تواجدهم وحريتهم في الوصول إليه، ومن ثم بناء كنيس أو كنس تكون ملحقات للهيكل، ففي أثناء رئاسته للحكومة الإسرائيلية دعا يهود براك إلى بناء كنيسين أحدهما في الزاوية الشرقية الشمالية داخل الحرم والثاني في الزاوية الغربية الشمالية، ودعا إلى الإعلان عن ساحات الحرم بأنها مشتركة بين المسلمين واليهود، وطالب بالسيادة المطلقة على كل ما هو تحت الحرم([[29]](#footnote-29)).

فقد أعلنت مؤسسة الأقصى للوقف والتراث في بيان لها بتاريخ 18/8/2013. "إن مجموعات يهودية تتقدمها مرجعيات دينية (ربائيم) تبذل جهوداً متواصلة لإقناع أكبر عدد من المرجعيات اليهودية بالانضمام إلى جمعية رسمية تهدف إلى بناء كنيس يهودي على جزء من المسجد الأقصى، وكشفت المؤسسة عن صورة تبين مكان الكنيس المقترح في المدخل الرئيس للمصلى المرواني الواقع في الجهة الجنوبية الشرقية من المسجد الأقصى المبارك" وأشارت المؤسسة إلى موافقة ما يُسمى بمسجل الجمعيات الإسرائيلية على تسجيل جمعية رسمية ستعمل على بناء كنيس يهودي على جزء من الأقصى، وذلك تسريعاً لبناء الهيكل المزعوم، وسميت هذه الجمعية "جمعية يشاي لإقامة كنيس على الجبل المقدس" وقال مؤسسو هذه الجمعية إن هناك طلبات متزايدة من اليهود لإقامة كنيس في الحرم يشكل نقطة تجمع وانطلاق لإقامة كنيس كبير يكون نقطة ارتكاز للتسريع في بناء الهيكل المزعوم([[30]](#footnote-30)).

**التوصيات:**

من كل ما سبق نرى زيف الادعاءات الصهيونية وحرصهم الشديد والكبير في بناء الهيكل المزعوم، فالأقصى في خطر أكيد، ومخططات العدو نحوه ماثلة للعيان، لذا فعلينا جميعاً ألا ننتظر للأقصى مصير الحرم الإبراهيمي وأن نتجاوز ردود الفعل الكلامية وندخل في دائرة الفعل والتغيير من خلال ما يلي:

1. على قيادة الشعب الفلسطيني أن تتحمل مسؤولياتها التاريخية، وتوجه كل طاقات شعبها باعتباره المرابط على الأرض الحارس للمقدسات، وراس الحرية في مواجهة المحتل، فتلغي الانقسام، وتتجاوز اتفاقية أوسلو، وتسعى لخلق معادلة الردع الكفيلة وحدها بثني المحتل عن تنفيذ مخططاته، وأن يكون شعارها الدائم "القدس أولاً ولا تنازل عن حقوقنا في الأقصى" وترجمة هذا الشعار قولاً وعملاً.
2. وعلى الأردن باعتباره الوصي القانوني على المسجد الأقصى، أن يقف موقفاً حازماً تجاه هذه المخططات، وأن يتمسك بحصرية إسلامية الحرم القدسي والتلويح بإعادة النظر في اتفاقات السلام التي وقعها مع الكيان الصهيوني.
3. أما الحكومات العربية والإسلامية فهي مدعوة لتوحيد طاقاتها ومواقفها، واستغلال الزخم الشعبي وتوجيهه لنصرة القدس والأقصى وألا تنكفئ على مشاكلها الداخلية وحسب، وأن تدعم الموقف الفلسطيني المتمسك بحقه التاريخي والقانوني في القدس والاقصى، وأن تشكل جبهة ضاغطة في المحافل الدولية، لردع كل الإجراءات الصهيونية.
4. دعوة الجماهير العربية والإسلامية إلى استحضار الأقصى باعتباره هماً يومياً وشخصياً، وأن تتجاوز مواقف حكوماتها المحكومة بالخلاف، والضغط عليها لتكون قضية الأقصى أولى أولوياتها.
5. استنهاض وسائل الإعلام العربية والإسلامية لتكون على مستوى الحدث الخطير، وتبنى قضيته، والتأكيد على أن الاعتداء عليه اعتداء على مليار ونصف مليار مسلم، وذلك من خلال تخصيص برامج للتعريف به، وتوثيق أحداثه، والتصدي لأعدائه، والعمل على إنشاء قناة فضائية، ومحطة إذاعية وصحيفة يومية، تعنى كلها بالأقصى.
6. إنشاء صندوق مالي إسلامي لدعم المرابطين في بيت المقدس وأكنافه وترميم المساجد القديمة فيها وإنشاء مساجد جديدة ودعم المؤسسات المقدسية.
7. دعوة المؤرخين والأركيولوجيين العرب والمسلمين إلى متابعة ما تنشره مؤسسة الآثار الإسرائيلية وغيرها من المؤسسات الصهيونية التي تقوم بسرقة الآثار وتزييف الحقائق، والعمل على إنشاء مركز دراسات متخصصة في تاريخ القدس لتفنيد الروايات التورائية والرد على الادعاءات الصهيونية رداً علمياً موثقاً.
8. حث الكتاب والأدباء والمؤلفين على تأليف كتب تغطي الجوانب الدينية والسياسية والتاريخية للأقصى، وترجمة الكتب الداعمة له، وطباعة المخطوطات القديمة التي ألفت حوله.
9. حث منظمة اليونسكو على حماية كل الأماكن الدينية والتاريخية في القدس باعتبارها تراثاً إنسانياً.

وبعد، فإن الأقصى في خطر، وهدمه مقدمة للوصول إلى الكعبة المشرفة، وتحقيق لأطماع الصهاينة في إعادة أحلام مملكة داود من الفرات إلى النيل، والمطالبة بحق بني قريضه وقنيقاع وبني النضير.

**المصادر والمراجع:**

1. الكتاب المقدس، العهدان القديم والجديد.
2. بركو، عبد بن محمد: المسجد الأقصى المبارك والهيكل المزعوم، دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 2010.
3. تومبسون، توماس: القدس، أورشليم في العصور القديمة بين التوراة والتاريخ، ترجمة فراس السواح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2003.
4. جريدة السفير، عدد 1 تشرين الثاني، 1999.
5. الحقيقة الدولية، العدد 162 سنة 2006.
6. دروزة، محمد عزة: القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، منظمة التحرير الفلسطينية، 1984.
7. رابطة علماء فلسطين، بيان منشور 2/4/2007.
8. الزرو، نواف، الأركيولوجيا الصهيونية في خدمة الاستراتيجيات التورائية التهويدية في المدينة المقدسة، موقع مؤسسة الأقصى.
9. السواح، فراس: تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود، دار علاء الدين، دمشق، ط1، 2003.
10. صلاح الدين، عائد أحمد عائد: الحفريات الإسرائيلية حول المسجد الأقصى المبارك، نسخة الكترونية على موقع alquds-online.
11. العابد، بديع: الهوية المعمارية لمدينة القدس، قبة الصخرة أم الهيكل المزعوم، وزارة الثقافة، عمان، ط1، 2009.
12. عواد، محمود: إقامة الهيكل المزعوم إعلان الحرب الدينية، منشورات اللجنة الملكية لشؤون القدس، عمان، ط1، 2004.
13. مجلة العصور الجديدة، عدد إبريل، 2000.
14. منصور، عبد القادر محمد: القدس عقيدة وتاريخ، دار العلم العربي، حلب، ط1، 2003.
15. وايتلام، كيث: اختلاق إسرائيل القديمة، إسكان التاريخ الفلسطيني، ترجمة سمر الهندي، سلسلة عالم المعرفة، العدد 249، أيلول، 1999.
16. [www.Alquds-online](http://www.Alquds-online)..
17. [www.iaqsa.com](http://www.iaqsa.com).
18. [www.alalam.com](http://www.alalam.com).
19. [www.aljazeera.net](http://www.aljazeera.net) 24/8/2008.

1. () تومبسون، توماس: القدس، أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ، ترجمة فراس السواح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2003، ص167. [↑](#footnote-ref-1)
2. () وايتلام، كيث: اختلاق إسرائيل القديمة إسكات التاريخ الفلسطيني، ترجمة سمر الهندي، سلسلة عالم المعرفة، العدد 249، أيلول 1999، ص92. [↑](#footnote-ref-2)
3. () تومبسون، توماس: القدس أورشليم القديمة، ص169. [↑](#footnote-ref-3)
4. () المرجع السابق، ص178. [↑](#footnote-ref-4)
5. () المرجع السابق، ص179. [↑](#footnote-ref-5)
6. () نشرت المقالة بترجمة فيصل خيري في مجلة العصور الجديدة عدد ابريل سنة 2000، وبترجمة حلمي موسى في جريدة السفير عدد 1 تشرين الثاني 1999، وانظر السواح، فراس: تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود، ط3، دار علاء الدين، دمشق 2003، ص144. [↑](#footnote-ref-6)
7. () السواح، فراس: تاريخ أوشليم والبحث عن مملكة اليهود، ص208. [↑](#footnote-ref-7)
8. () الزرو، نواف: الأركيولوجيا الصهيونية في خدمة الاستراتيجيات التورائية التهويدية في المدينة المقدسة، موقع مؤسسة الأقصى، ص5. [↑](#footnote-ref-8)
9. () العابد، بديع: الهوية المعمارية لمدينة القدس قبة الصخرة أم الهيكل المزعوم، وزارة الثقافة، عمان، ط1، 2009، ص63. [↑](#footnote-ref-9)
10. () بركو، عبد بن محمد: المسجد الأقصى المبارك والهيكل المزعوم، دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 2010، ص40. [↑](#footnote-ref-10)
11. () دروزة، محمد عزة: القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، منظمة التحرير الفلسطينية، ط1، 1984، 1/27. [↑](#footnote-ref-11)
12. () منصور، عبد القادر محمد: القدس عقيدة وتاريخ، دار القلم العربي، ط1، حلب 2003، ص212. [↑](#footnote-ref-12)
13. () رابطة علماء فلسطين، بيان منشور 2/4/2007، ص12 وانظر: بركو: عبد بن محمد: المسجد الأقصى المبارك والهيكل المزعوم، ص43. [↑](#footnote-ref-13)
14. () عواد، محمود: الهيكل المزعوم إعلان الحرب الدينية، ص48. [↑](#footnote-ref-14)
15. () www.Alquds-online. [↑](#footnote-ref-15)
16. () www.iaqsa.com. [↑](#footnote-ref-16)
17. () www.alalam.com [↑](#footnote-ref-17)
18. () صحيفة الحقيقة الدولية، مقالة: الصهاينة يحددون ساعة الصفر لهدم الأقصى، العدد 62، سنة 2007، ص12. [↑](#footnote-ref-18)
19. () بركو، عبد بن محمد: المسجد الأقصى المبارك والهيكل المزعوم، ص87. [↑](#footnote-ref-19)
20. () مخاطر الحفريات الإسرائيلية على الأقصى، الجزيرة نت، 21/8/2008. [↑](#footnote-ref-20)
21. () رابطة علماء فلسطين، بيان منشور، 2/4/2007، ص16. [↑](#footnote-ref-21)
22. () تقرير مؤسسة القدس الدولية لسنة 2011، www.alquds-online.org. [↑](#footnote-ref-22)
23. () تقرير مؤسسة القدس الدولية لسنة 2013، www.alquds-online.org. [↑](#footnote-ref-23)
24. () تقرير مؤسسة القدس الدولية لسنة 2010، www.alquds-online.org. [↑](#footnote-ref-24)
25. () تقرير مؤسسة القدس الدولية لسنة 2012، www.alquds-online.org. [↑](#footnote-ref-25)
26. () تقرير مؤسسة القدس الدولية لسنة 2013، www.alquds-online.org. [↑](#footnote-ref-26)
27. () مؤسسة الأقصى للوقف والتراث www.iaqsa.com [↑](#footnote-ref-27)
28. () تقرير مؤسسة القدس الدولية لسنة 2009، www.alquds-online.org. [↑](#footnote-ref-28)
29. () صلاح، الشيخ رائد: ماذا يخطط الإسرائيليون للأقصى، www.alquds.online. [↑](#footnote-ref-29)
30. () مؤسسة الأقصى للوقف والتراث، www.alquds.com. [↑](#footnote-ref-30)